الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الثلاثاء 10 ذو القعدة 1423 هـ 14 يناير 2003 العدد 8813

بريد طباعة

العلاقة النفطية السعودية والأميركية بين مطرقة المقاطعة وسندان العراق

عبد الرحمن بن فهد الحارثي*

كما يمرق السهم من الرمية، نفذت الطائرتان الى خاصرة ابراج التجارة في نيويورك، وتركتها بمن فيها اثرا بعد عين، ولكنها نفذت ايضا الى فؤاد العلاقات السعودية ـ الاميركية كنصل حاد، وان لم يقطع وريد المودة الا انه حبس انفاسها من حين الى اخر، ووضع مصداقية هذه العلاقة الوطيدة لعقود طويلة على محك الاختبار، واود هنا ان ارتكز على احد اهم اركان هذه العلاقة، وهو المصالح المتبادلة وعلى رأسها النفط.

اورد بداية ثلاثة شواهد وردت جميعها في الاعلام الغربي، الاولى تقول انه في صبيحة اليوم التالي لحادثة 11 سبتمبر (ايلول)، استدعى ولي العهد السعودي الامير عبد الله بن عبد العزيز وزير نفطه النعيمي للتشاور، وانتهى الاجتماع الى ان ترجئ السعودية بيدها القوية داخل اوبك، تخفيض حصص النفط المتفق عليها الى اجل اخر تقديرا للاوضاع السائدة، بل وتصدير 9 ملايين برميل اضافية الى الولايات المتحدة، تعبيرا عن عمق التضامن مع جراحها، ووفقا للرواية التي نشرت في الـ«واشنطن بوست» بتاريخ 2 فبراير (شباط) 2002، فان السعودية استخدمت ناقلاتها لمدة اسبوعين لنقل ما يزيد على 500 الف برميل يوميا الى الولايات المتحدة، وهذه السياسة المتعاطفة افلحت في اخماد لهيب اسعار النفط فهبطت من حوالي 29 دولارا للبرميل في نهاية اغسطس (آب) الى دون 20 دولارا في غضون اسابيع قليلة.

الثانية، في مقالة مثيرة نشرت في الـ«واشنطن بوست»، لرئيس الاستخبارات السعودية السابق الامير تركي الفيصل في سبتمبر 2002، اشار فيها مباشرة الى ان السعودية احتفظت لاكثر من 70 عاما بعلاقات استثنائية مع الولايات المتحدة، لعبت فيها السعودية دور الحليف الفاعل في الكثير من القضايا الشائكة، مثل الحرب على الكونترا في نيكارغوا والتحالف مع أميركا والباكستان ضد السوفيات في افغانستان، وكيف ان السعوديين والاستخبارات الاميركية ساعدوا في الحرب على منظمة الالوية الحمراء. وفي ما يخص النفط تحديدا، وهو الحبل السري الذي يربط وشائج الطرفين، اشار الامير الى ان السعودية حافظت دوما على تقديم النفط باسعار معقولة، واستشهد كيف انها استطاعت ان تخفض اسعار النفط بشدة في منتصف الثمانينات تجاوبا مع المصالح المشتركة.

الثالثة، في البرنامج الشهير Hard Talk في قناة BBC البريطانية وفيه استضاف المحاور المتميز والشرس Sebastian مستشار ولي العهد السعودي عادل الجبير، وفيما كان المحاور ينقض كعادته كدب هائج على ضيفه باسئلته التي تتوالى كطلقات الرصاص متسائلا «ان السعوديين يكثرون من تكرار الانكار لكن هذا لا يغير الحقائق» فاجابه الجبير ـ بجنانه الثابت ـ «ان تكرار الاكاذيب ايضا لا يحولها الى حقائق» وفي ما يخص النفط اشار الجبير الى ان السعوديين حرصوا دوما على المصالح الدولية النفطية والاميركية تحديدا، بدليل انهم تجاوزا حصص الانتاج مرارا وعملوا على تأمين نفوطهم بأسعار مغرية للولايات المتحدة حرصا على المصالحة المتبادلة.

ترد هذه الحوادث والكثير غيرها في وقت لا تحفل السعودية كثيرا، كناتج لسلوكها الاجتماعي، بالحديث عما تفعل، وعلى عكس ما تتوقع فهي تتعرض باستمرار لحملة قوية وضارية داخل الاعلام الاميركي، واخرها حملة ساذجة لمقاطعة النفط السعودي في الاسواق الاميركية بدعوى ان امواله تذهب الى الارهابيين، ويقف خلف هذه الحملة الاعلانية التي تبث في نيويورك ولوس انجليس وواشنطن وديترويت عدد من الوجوه الاعلامية المشهورة على رأسها الكاتبة اريان هوفيجتون وعدد من نجوم هوليود، والوجه الساذج في هذه الدعوى يوازي في الضفة الاخرى دعوى يمقتها الاميركيون كثيرا وفحواها استخدام النفط كسلاح سياسي ضد الولايات المتحدة، وفي الحالتين تنظر الى عملة واحدة يتنافس وجهاها تسرعا «وانفعالا».

قبل عدة عقود من الزمن كانت الولايات المتحدة اكبر مصدر للنفط، لان دوام الحال من المحال، فهي اليوم اكبر مستورد للنفط، وفي الوقت الحالي تمثل الاحتياطيات النفطية للولايات المتحدة 22 مليار برميل اي 2 في المائة فقط من الاحتياطات العالمية المؤكدة، ومن حق الولايات المتحدة ان تراعي مصالحها النفطية، وهي بكل تأكيد لا تنتظر هذا الاعتراف من اي كان، فهي تذهب للتوسط في مشكلة الحدود النيجيرية مع ساوتومي وغينيا رغبة في زيادة الانتاج النفطي هناك، وتلقي بثقلها في المغرب العربي والجزائر تحديدا لتراهن على انتاج مزيد من الغاز والنفط، وتدلف الصراع السوداني لتهادن بين الحكومة والمتمردين في الجنوب على امل ان يساهم السلام في زيادة استكشاف الاحتياطيات النفطية السودانية المقدرة بأكثر من مليار ومائتين وخمسين مليون برميل. ويقابل الرئيس الاميركي قبل اشهر، ثلاثة عشر رئيسا افريقيا واعدا اياهم بانتهاء عصر الجوع ولكن مقابل التنقيب عن النفط، بل وتصافح الاعداء «البارديين» في روسيا وتبادل الابتسامات حاثة لمواصلة الركض النهم نحو زيادة الانتاج «اللافت» اخيرا، وكذلك تفعل في المكسيك وبحر قزوين وكل بقعة مأهولة، وربما لو علم الاميركيون عن نفط في كوكب المريخ لاوفدوا «هاري بوتر» لمصافحة المخلوقات العجيبة هناك عارضين خدماتهم في التنقيب عن النفط.

الحكومة الاميركية مهووسة بالنفط، فرئيس الحكومة رجل بترول سابق، ونائبه تشيني كان يعمل في شركة النفط هالي بروتون، اما مستشارة الامن القومي كونوداليزا فتأتي من شركة شيفرون العملاقة، وهذا الهوس النفطي يتعاظم عندما نعلم ان الكثير من دراسات الطاقة الحديثة اشارت الى ان الاحتياطات النفطية خارج منطقة الشرق الاوسط قد تنفد خلال 25 عاما! وفي الشرق الاوسط خلال مائة عام! اضافة الى ان على اميركا ان تستورد نحو برميلين من كل ثلاثة براميل من النفط بعد عشرين عاما من الزمن المتسارع، وهي بالتالي في سياق التحليلات السياسية ربما تستهدف احتياطات النفط العراقية التي تتجاوز 115 مليار برميل، اي نحو 11 في المائة من الاحتياطي العالمي، ورفع انتاجه الى ستة ملايين برميل يوميا خلال ثلاثة اعوام، مما سيضعف الموقف السعودي كأكبر منتج بترولي، ويهدد منظمة اوبك التي تحارب لاسعار عادلة للطاقة النفطية.

السعوديون بطبعهم يملكون مساحة مرنة في ما يخص النفط، ولكنها تتضاءل كثيرا عندما تنفذ الى ثوابتهم الداخلية والخارجية، فقد يناقشون حصص اوبك للانتاج، وشروط منظمة التجارة العالمية وشراء صفقات التسليح، ولكنهم يشعرون بكثير من الضيق عند طلب تغيير مناهجهم الدينية في مدارسهم، او بفتح قواعدهم العسكرية للطيران الاميركي في حرب على العراق بدون قرار دولي، وهذا ايضا ما سربته الـ«واشنطن بوست» عن لقاء ساخن جمع الامير عبد الله بتشيني في الولايات المتحدة، وفيه طلب الثاني من الامير استخدام القواعد العسكرية وضمان الدعم للحرب على العراق بدون قرار دولي، فاجاب الامير بوضوح «الاجابة هي لا» لقد قلتها في السعودية واقولها الان هنا، وسأقولها غدا. ومن المفارقة هنا ان ذات الامير، هو الذي طلب الاجتماع بكبريات شركات الطاقة في اميركا مقدما اليها الدعوة للتنقيب عن الغاز في الاراضي السعودية عاكسا بشفافية النموذج السعودي في التعامل مع المصالح، ولكن دوما خارج دائرة الثوابت.

السعودية تحاول دوما لعب دور الرجل الصالح في الصناعة النفطية، فرغم انها كانت دوما الدولة الوحيدة القادرة فعليا على اغراق السوق او احراج المستهلكين، فهي تتحاشى ذلك مستفيدة من القراءة التاريخية لمجرى الاحداث، بل انها قاومت اخيرا وبجسارة طفوطا شعبية وعاطفية جارفة في الشارع العربي لاستخدام النفط كسلاح سياسي، واكدت بكل مناسبة ممكنة ان لها رسالة نفطية واضحة فحواها ان النفط مصدر طاقة رئيسي للبشرية وفي ذات الوقت مصدر دخل ورفاه للشعوب المصدرة، وهو خارج اللعبة السياسية، دوما ما امكن ذلك. ولكن يجب على الولايات المتحدة الا تركن الى كل هذا، فهي اذا ارادت من خلال العراق اعادة قراءة المنطقة ورسم تغييرات استراتيجية فيها، ومن ضمنها موضوع النفط والخارطة السياسية، فهي فعليا تفتح صندوق العفاريت، ويجب ان تتوقع ان الاطراف ذات الصلة ستعيد ايضا حساباتها لتتوافق مع مصالحها ومنافع شعوبها، وعندها قد تبني الولايات المتحدة بالفعل سفينة نوح ولكنها لن تجد نوحا».

* كاتب ومصرفي سعودي

مشاركة Tweet

بريـد طبـاعة